

الفحش في الكلام

س: تحدثنا في حلقة سابقة عن المسئولية عن الكلمة، وضرورة عرضها على ميزان الشريعة لينطق بها أو ليصمت عنها. وفي هذه الحلقة، نحب أن نحذر المستمعين من أساليب في الكلام لا تليق بالمسلم، وقد نهى عنها حتى يتجنبها في حياته، ألا وهي الفحش والسب وبذاءة اللسان، فما مضمون هذه الكلمات في البداية؟

ج: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه وتابعيه أجمعين وبعد.

فإن الله سبحانه وتعالى قد أمر عباده بأن يتخاطبوا فيما بينهم بالكلمات الطيبة والألفاظ الحسنة، فقال سبحانه: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فعلى مستوى التكليف بالصلاة والزكاة كان الأمر بأن يقولوا للناس حسناً. مفهوم ذلك أنه لا ينبغي أن نقول للناس كلاماً فاحشاً، أو كلاماً بذيثاً، أو نسبهم ونشتمهم، أو نستخدم الألفاظ التي لا يقبلها المجتمع ولا يرضاها العقلاء، وتخرج عن حد اللياقة. وقد نهى الرسول ﷺ عن كل ذلك فقال: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ». والله تعالى يقول: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾. ولكن ما مضمون هذه الألفاظ كما تساءلت؟

الفحش يقصد به التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة وأكثر ما يكون ذلك فيما يتعلق بالأمور الجنسية، فإن لأهل الفساد ومن لا حياء لديهم، عبارات صريحة فاحشة يستعملونها، وقد كثر ذلك في بعض برامج التلفاز، وأهل الصلاح والمروءة يتحاشونها، ويكتفون بالتكنية عنها، أو يدلون عليها بالرموز، فيذكرون ما

مقالات وحوارات في المعاملات والأخلاق والاقتصاد الإسلامي

أ.د/ يوسف إبراهيم يوسف

يقاربها ويتعلق بها. وهذا هو أسلوب القرآن الكريم في هذا الخصوص، حيث كنى باللمس والملامسة عن الجماع، وهى كنايةات جميلة وليست بفاحشة. وهناك عبارات أخرى في هذا الخصوص فاحشة، يقبح ويستقبح ذكرها، وبعض هذه العبارات أقبح من بعض، وأكثرها يستخدم في الشتم والتعير، وربما يختلف ذلك باختلاف عادة البلاد. وكذلك الألفاظ الخاصة بقضاء الحاجة، فإنه يفحش ذكرها، وأهل المروءة يكونون عنها بكنايات عديدة، ويستخدمون فيها ألفاظاً لا فحش فيها، بيد أن الفاحش من الناس يستخدم الألفاظ الصريحة، التي تعد فحشاً في القول. وإذا تعود المرء الفحش في القول، وكثر ذلك على لسانه فإنه يوصف بأنه بذئ اللسان، وبذاءة اللسان هي الفحش في القول عندما يصبح عادة لشخص من الأشخاص. أما السب والشتم فهو معلوم للناس، لا يحتاج إلى تعريف، ونستطيع أن نقول إن الألفاظ الثلاثة يجمعها الفحش، فالسب والشتم فحش، وبذاءة اللسان فحش.

س: ما هي أهم البواعث على الفحش لدى بعض الناس.

ج: أهم البواعث على الفحش إما قصد الإيذاء للغير، وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم، وهؤلاء من عادتهم السب والشتم دون تخرج، فمن يقصد الإيذاء يسب ويشتم الآخرين بألفاظ قبيحة تسعى إلى الشخص وإلى أسرته، وربما أمته كلها، ومن يخالط الفساق لا يرى في الألفاظ القبيحة فحشاً بل يراها أمراً عادياً، وربما دخل في هذا الألفاظ الغريبة التي يستخدمها بعض شبابنا اليوم، فهم لهم قاموس جديد غريب، لا تعرفه الأمة، ولا يعرفه جيل الكبار، فبعض أبناء هذا الجيل يستخدم عبارات تصك أسماعنا ويستتهجنها أهل المروءة والحياء. والباعث هنا هو ادعاء العصرية ومسايرة الموجة، وهذا يكشف عن أننا لم نحصن شبابنا ضد التيارات المنحرفة في السلوك والعبارة. فرأينا هذا الشباب الذي ننكر لغته، كما ننكر

مقالات وحوارات في المعاملات والأخلاق والاقتصاد الإسلامي

أ.د/ يوسف إبراهيم يوسف

سلوكه. وتقف أجهزة التوعية والإعلام موقفاً سلبياً من هذا الفحش في القول والبذاءة في اللسان والتي ربما تحملها أدوات المفروض أنها تثقيفية، مثل السينما والمسرح، وينشرها ويعرضها التلفاز.

س: ما مدى حرمة هذه الألفاظ الفاحشة؟

ج: حرمتها شديدة، فهي ربما تخل بإيمان الشخص وإسلامه، حيث يقول النبي ﷺ من حديث جابر بن سمرة يقول: كنت جالساً عند النبي ﷺ وأبي أمامي فقال صلوات الله وسلامه عليه: «إِنَّ الْفُحْشَ وَالتَّفَاحُشَ لَيَسَا مِنَ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ وَإِنَّ خَيْرَ النَّاسِ إِسْلَامًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا». وهو مذموم ومنهي عنه بقول النبي ﷺ: «وَلِيَاكُمْ وَالْفُحْشَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَاحُشَ». ومن حديث أسامة بن زيد. قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ».

س: ما موقف من يتعرض للفحش من الآخرين؟ هل يجيبهم بالمثل أم يربأ بنفسه عن ذلك؟

ج: نحن نعلم أن سب المسلم فسوق وقتاله كفر، كما جاء في الحديث الصحيح، ومن ثم فإن الورع يقتضي عدم مجارات أهل الفحش في فحشهم، فإذا تعرض شخص للسب مثلاً، فلا يسب من سبه بل يترك أجره على الله، فالله وإن أباح رد العدوان لكنه دعا إلى الصفح فقال: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]. وقال أعرابي لرسول الله ﷺ: أوصني. فقال: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَإِنْ أَمَرُوا عَيْرَكَ بِشَيْءٍ يَعْلَمُهُ فِيكَ، فَلَا تُعِزَّهُ بِشَيْءٍ تَعْلَمُهُ فِيهِ، يَكُ وَبَالُهُ عَلَيْهِ، وَأَجْرُهُ لَكَ، وَلَا تَسُبَّنَّ شَيْئًا» قال الأعرابي، فما سببت شيئاً بعده. وعليه فإن الذي يسبه فاحش لا ينبغي أن يبادل الفحش، وإلا ساواه في الخلق - وكان مثله. يقول عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قلت يا رسول الله إن الرجل من قومي يسبني وهو دوني، فهل علي من بأس أن أنتصر

مقالات وحوارات في المعاملات والأخلاق والاقتصاد الإسلامي

أ.د/ يوسف إبراهيم يوسف

منه؟ فقال: «المتسابان شيطانان يتعاويان ويتهارجان» فهو بهذا لم يسمح له بأن يبادل من يسبه السباب، ولا يزال ملك يدفع عن المسبوب ما لم ينتصر لنفسه، فإذا انتصر لنفسه تنحى الملك. ففي الحديث أن رجلاً شتم سيدنا أبا بكر وهو ساكت، فلما ابتدأ ينتصر منه، قام رسول الله ﷺ: فقال أبو بكر: إنك كنت ساكتاً لما شتمني، فلما تكلمت قمت؟ قال: «إِنَّ الْمَلِكَ كَانَ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمْتَ، ذَهَبَ الْمَلِكُ، وَوَقَعَ الشَّيْطَانُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَجْلِسَ». وأشد أنواع السباب والشتم أن يشتم المرء والديه فقد قَالَ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَسُبَّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ». قَالَ: وَكَيْفَ يَسُبُّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ ﷺ: «يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ». بل لقد نهى الله تعالى أن نسب الآلهة المدعاة، حتى لا يسب عبادها الله عز وجل. قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ﴾. إن السب والشتم والفحش ليس من خلق المسلم، وعلينا أن نتخلق بأخلاق الإسلام، فأحسن المسلمين إسلاماً أحاسنهم أخلاقاً.

هذا والله ولى التوفيق